خبراء بالتجربة: إعادة التوطين كوالدة وحيدة

اقرأ مقابلتنا مع رنا، وهي تتحدث بصراحة حول مصاعب تركها سوريا والانتقال في هذه الرحلة كوالدة وحيدة مع ابنتين.

تمثل الرحلة أولاً من بلدك الأصلي إلى البلد المُضيف، ومن ثم إلى بلد آخر عن طريق إعادة التوطين، مهمة صعبة لأي عائلة – وتصبح أصعب كوالدة وحيدة. تكمن الطمأنينة في قدرتك على اللجوء إلى شريكك في مثل هذا الموقف، وطرح تلك الأسئلة الصعبة للغاية مثل: "هل يجب أن نغادر؟"، "ماذا سيحدث لنا؟"، "ماذا سنقول للأطفال؟" – هذا ليس موجودًا بالنسبة إلى الوالدات الوحيدات. هذه هي الرحلة التي سارت بها رنا قبل أن يتم الترحيب بها من مجموعة الرعاية المجتمعية "لكنائس جنوب ليفربول" في عام 2019.

جلست رنا بلطف معنا للتحدث حول تجربتها بعد الترحيب والدعم التي وجدته من مجموعة الرعاية المجتمعية على مدار العامين الماضيين، وكيف سارت الحياة في تربية ابنتين مع والدة وحيدة، وما هو أملها لأسرتها الآن مع شعورها بتوطينها في المملكة المتحدة.

ما هي الظروف التي اضطررت فيها لمغادرة وطنك سوريا؟

غادرنا بسبب الحرب. عندما قُصفت مدرسة ابنتي وقُتل اثنان من أصدقائها، أرعبني ذلك، لذا؛ أخرجت ابنتيَّ من المدارس وغادرنا سوريا. نجحنا في الحصول على تأشيرة للعراق وسافرنا إلى هناك بالطائرة.

كيف كانت الحياة في العراق، وخاصةً كأم وحيدة؟

كانت صعبة جدًا جدًا في جميع جوانب الحياة. أولاً، يعد تربية ابنتين لأم وحيدة في حد ذاته مسؤولية ضخمة. ثانيًا، عندما انتقلنا إلى جزء الأكراد بالعراق، كانت اللغة المنطوقة هناك مُختلفة. لم نعرف اللغة أو طريقة التواصل مع الأشخاص. أما الجانب الثالث فكان من الناحية المالية، وطريقة توفير ما يكفي من المال لأسرتي، خاصة أنني المسؤولة الوحيدة وكان هذا هو قراري بأخذ ابنتيَّ إلى العراق.

لكسب المال في العراق، اعتدت على طبخ الطعام وبيعه إلى الأُسر الأخرى، كما كنت أدرس القرآن في أحد المساجد أيضًا. عندما كنت أطهي الطعام، كنت أطهي أصنافًا متنوعة؛ من الطعام العراقي والسوري. كان يخبرني الناس حول مدى لذاذة طعامي، وبأنهم لم يتذوقوا مثل طعامي من قبل! أحبوا طعامي واشتروه، وهذا ما أبقاني حية في العراق.

اضطرت ابنتي الكبرى التوقف عن الذهاب إلى المدرسة لأننا لم نستطع تحمل التكلفة. تعذر عليَّ فعل أي شيء لأن ما يمكنني كسبه لا يكفي إلا لطعامنا والإيجار. لم أتمكن من أي شيء زيادة عن ذلك. جعلني ترك بلدي حزينة جدًا، لكن عدم القدرة على توفير التعليم اللازم لابنتي جعلني في مرارة حزن أشد. عندما رأت ابنتي طلاب آخرين يذهبون إلى المدرسة، كانت تبكي وتطلب مني أن أحضر لها حقيبة ظهر، حتى تتمكن من الذهاب إلى المدرسة كذلك. عندما غادرنا سوريا، لم أكن متأكدة أين سنذهب أو ما الذي سيحدث لنا. لكن كانت فكرتي في ذلك الوقت أنه من الأفضل أن نخسر أموالنا ومنزلنا، بدلاً من أن أفقد بناتي.

ما الأثر الذي وقع على ابنتيك جرّاء مغادرة سوريا؟

حملت مغادرة سوريا أثرًا سلبيًا على ابنتيَّ، لأنني لم أتمكن من تحمل توفير حياة أفضل لهنا. كنا نعيش على الكفاف فحسب. يوجد في بيتنا بالعراق الأساسيات فحسب، ولم أستطع تحمل توفير المزيد لهنا. كما شعرنا بأننا غير مرغوب فينا في المجتمع الكردي الذي كنا فيه. كنا نحاول أن نكون ودودين مع جيراننا وتكوين صداقات، لكنهم لم يستجيبوا لنا. لم يكن يسمحوا لأطفالهم باللعب مع أطفالي.

عندما أفكر في تلك الأوقات، أرى كم كانت صعبة. لكن، هذا هو سبب قدومي إلى هنا. وقد ساعدتني مجموعة الرعاية المجتمعية بعدة طُرق، في الصحة والتعليم وأشياء، مثل التسوق لشراء الطعام. وكُنت مُندهشة من هذا، لأن هذا كان العكس تمامًا من الوضع في العراق حيث كان الناس لا تقترب حتى منا، في حين أن المجموعة هنا ساعدتنا في كل شيء.

كيف شعرت عندما أعلمتك لأول مرة مفوضية اللاجئين أنك ستتم إعادة توطينك في المملكة المتحدة؟

عندما أخبرني أحدهم هاتفيًا بقوله: "لقد قبلنا طلب انتقالك إلى المملكة المتحدة"، غمرت عيناي الدموع. سقطت على الأرض وقلت له: "من فضلك كرر ما قلته، من فضلك، من فضلك كرر ما قلته للتو".

دائمًا كنت أشعر بأننا سنحظى بمساعدة بطريقة ما. شعرت بأن الإله لن يتركنا وحدنا فحسب، سيرسل لنا شخصًا ما ليساعدنا. ولم أقدر على الاستسلام لأجل ابنتيَّ، شعرت بأنه يجب أن أستمر في القتال لأجلهنا.

لم أشعر بالعصبية حول فكرة القدوم إلى المملكة المتحدة. أنا متخرجة، ودرست تكنولوجيا المعلومات والأعمال في سوريا. وما سمعته عن المملكة المتحدة أنها واحدة من أفضل الدول في العالم، وهي دولة يرغب الناس في إرسال أطفالهم إليها للحصول على تعليم جيد. لذا؛ عندما سمعت أننا ذاهبون إلى المملكة المتحدة، كان لدى في عقلي فكرة أننا ذاهبون إلى واحدة من أفضل الدول. وكُنت مُندهشًا أن دولة بحجم المملكة المتحدة ستقبلني أننا وفتياتي.

كيف كان العامان الأخيران في المملكة المتحدة بالنسبة إلى أسرتكِ؟

كانتا أفضل عامين في حياتي. إنه شعور بالبداية، كما لو أن حياتي قد بدأت مرة أخرى. لقد شعرت بأن كل شيء كان يقودنا إلى المجيء إلى هنا وأننا سنكون جزءًا من المملكة المتحدة وهذا المجتمع. عاملنا الناس هنا على أننا بشر. كما قلت، في العراق لم يكن حتى يرد الناس السلام عليَّ. لكن هنا عاملنا الجميع على أننا بشر.

كان التحدي الأساس للاستقرار هنا عائق اللغة. كان هذا هو الشيء الوحيد الصعب. كل شيء آخر كان يمكن إدارته، وذلك لوجود مجتمع الرعاية المجتمعية. كان أعضاء المجموعة يساعدوني بأشياء متنوعة. قد يساعدني شخص ما في تنظيم المواعيد الصحية، ويساعدني شخص آخر في إدارة المزايا وما إلى ذلك. شعرت كما لو أننا أسرة واحدة كبيرة، مع عرض جميع أعضاء المجموعة لي طريقة عمل الأشياء خطوة بخطوة.

حتى لو كنت مُسافرًا إلى المملكة المتحدة، كنت أفكر أنني أحتاج إلى شراء ملابس للفتيات. لكن عندما وصلت إلى المنزل هنا، كانت الخزانات مليئة بالفعل بكل شيء! ملابس وأحذية، كان كل شيء جاهزًا وفي انتظارنا. وعندما بدأت الدراسة، أخذتنا المجموعة إلى شراء الزي المدرسي للفتيات. بعيدًا عن اللغة، لم يكن ثمة شيء صعب أو شاق، وهذا بسبب دعم المجموعة.

لم تكن المجموعة تساعدنا في الأساسيات فحسب، بل كانت تأخذنا في رحلات إلى القلاع والمطاعم وويلز! لم أشعر أبدًا أنهم يفعلون ذلك، لأنها وظيفتهم أو مهمة موكلة إليهم، لكن شعرت بأننا جميعًا سنكون أسرة وأصدقاء. وقد جعلني أشعر بالسعادة فحسب حول التفكير بأن هذه هي حياتي الآن.

حتى جارتي كانت لطيفة معنا، وقدمت لنا الهدايا. إذا لم ترني جارتي لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، تتصل بي وتسأل إذا كنت بخير!

ما هي تطلعاتك نحو المتسقبل؟

ما أود أن أتمكن من فعله هو دراسة التمريض وأن أصبح ممرضة. أود لو يمكنني فتح عيادة صغيرة في ليفربول وأعمل بها مع كلتا ابنتيَّ. إن الأشخاص في ليفربول عطوفون جدًا وأريد أن أرد لهم حسن صنيعهم بطريقة ما.

ماذا تعني لك الرعاية المجتمعية؟

بالنسبة إلي، إنها تعني بداية حياة جديدة ومستقبلاً جيدًا. جعلتنا المجموعة نشعر بأننا بشر مرة أخرى، كما جعلتنا نشعر بأننا يمكننا تحقيق أي شيء نريده. يشعروننا بأنهم أسرتنا. لم يعاملونا أبدًا كما لو أننا غرباء أو بشكل رسمي مبالغ فيه، لكن كأسرة فحسب.

بالنسبة لأي أسرة تشعر بالقلق من القدوم إلى المملكة المتحدة، أود أن أقول لها إن الناس طيبون للغاية هنا. وأن المجموعة التي رحبتا بنا كانت داعمة ومُشجعة للغاية. تجاوزت المجموعة أي توقعات كانت لديَّ! وأحب أن أنصح أي أُسر أن تركز فعلاً على تعلم اللغة، لأنك لو امتلكت المهارات اللغوية هنا، فحينها يمكنك تحقيق ما تريده.

إن المجموعة أسرة كبيرة بالنسبة إلينا، يبدو كأنهم هدية من الإله. أتمنى لجميع مَن يأتي إلى المملكة المتحدة أن يجد هذا النوع من الأسرة.

الشكر لرنا على مشاركة قصتها!